Journal of Libyan Academy Bani Walid 2025
مجلة الأكاديمية الليبية بني وليد
e-ISSN: 3104-3860
المجلد الأول، العدد الثاني، 2025

مكانة المرأة في القرآن الكريم بين التصور القرآني والتأويلات المعاصرة

عبدالسلام عبدالقادر محمد التواتي*
كلية التربية الغريفة، جامعة سبها، ليبيا.
*البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): twaty1981@gmail.com

The Status of Women in the Holy Qur'an in the Qur'anic Perception and Contemporary Interpretations

Abdulsalam Mohamed Al-Twati *
Faculty of Education Al-Gharifa, Sebha University, Libya.

Received: 09-03-2025; Accepted: 28-04-2025; Published: 13-05-2025

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مكانة المرأة في القرآن الكريم بين التصور القرآني الأصيل والتأويلات التقليدية والقراءات المعاصرة، من خلال تحليل النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة، واستعراض كيفية تعامل المفسرين القدامى مع هذه النصوص، ثم مناقشة القراءات الحديثة التي تحاول إعادة فهم النص في ضوء مقاصد الشريعة ومتطلبات العصر. وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي والمقارن، وتوصل إلى أن القرآن الكريم أسس لكرامة المرأة ومساواتها في الإنسانية والتكليف، وأن التأويلات التقليدية أضرت في بعض الأحيان بصورة المرأة القرآنية، مما استدعى ظهور قراءات معاصرة تركز على العودة إلى النص بروح مقاصدية، تعزز العدالة والمساواة وتراعي تطورات الواقع الاجتماعي المعاصر.

الكلمات الدالة: المرأة في القرآن، التصور القرآني، التأويلات التقليدية، القراءات المعاصرة، القراءة المقاصدية، مكانة المرأة، مقاصد الشريعة.

Abstract

This research aims to explore the status of women in the Holy Quran by examining the original Quranic concept, traditional interpretations, and contemporary readings. The study analyzes Quranic texts related to women, investigates how classical scholars interpreted these texts, and discusses modern approaches that seek to reinterpret them through the lens of the objectives of Sharia (Maqasid) and contemporary social changes. Using analytical and comparative methods, the research finds that the Quran established principles of dignity and equality for women in humanity and religious obligations. However, traditional interpretations, influenced by historical and cultural contexts, often distorted the Quranic vision of women. This necessitated the emergence of contemporary readings focused on returning to the text with a Maqasidic perspective that emphasizes justice, equality, and alignment with modern social developments.

Keywords: Woman in the Quran, Quranic Concept, Traditional Interpretations, Contemporary Readings, Maqasidic Reading, Women's Status, Objectives of Sharia.

المقـدمـــــة

المقدمة:

على امتداد العصور، كانت مكانة المرأة محور جدل فكري واجتماعي في المجتمعات الإنسانية، ولكن حين نعود إلى النص القرآني، نجد أن المرأة حظيت بموقع مميز منذ اللحظة الأولى لخطاب الوحي. فقد قرر القرآن بوضوح أن المرأة والرجل من أصل واحد، يتشاركان في الخلق والكرامة والتكليف الإلهي. ومن خلال سرد القصص القرآنية، وذكر نماذج نسائية رائدة، أبرز القرآن الأدوار المتعددة التي يمكن للمرأة أن تضطلع بها، من قيادة المواقف الاجتماعية إلى الدفاع عن القيم والمبادئ.

ومع ذلك، لم تبقَ صورة المرأة في وعي المجتمعات الإسلامية كما قدمها النص المقدس. فقد حملت عصور التفسير والتأويل تأثيرات بيئية وثقافية، أدت إلى ظهور اجتهادات متباينة أحيانًا، وتفسيرات استندت إلى أعراف زمنية أكثر من استنادها إلى النص ذاته. فوقع الخلط بين جوهر الخطاب الإلهي وبين رؤى بشرية قد لا تعكس دومًا روح النص الأصلية.

في الأزمنة الحديثة، ومع تصاعد الاهتمام بقضايا المرأة عالميًا، عاد الخطاب القرآني ليُقرأ بعين جديدة، محاولةً استعادة صورته الأصلية البعيدة عن إسقاطات التأريخ والتقليد. إذ بدأت قراءات معاصرة تنبش في النصوص بروح نقدية متجددة، تسعى إلى فهم مقاصد الشريعة في إطار من الوعي بمتغيرات العصر، دون أن تغفل عن ثوابت الدين ومبادئه العامة.

انطلاقًا من هذه الخلفية، تبرز أهمية دراسة مكانة المرأة في القرآن الكريم بين التصور القرآني الأول، الذي ارتكز على مبادئ العدل والتكريم، وبين التأويلات التي نشأت لاحقًا، سواء تلك التي تأثرت بالثقافة السائدة أو التي حاولت معالجة النص بروح العصر. فالمرأة اليوم لم تعد فقط موضوعًا للنقاش الديني، بل باتت عنصرًا أساسيًا في الحراك الاجتماعي والفكري، ما يفرض مراجعة دقيقة للخطاب الديني المتعلق بها.

وعليه، تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف التصور القرآني للمرأة، ومقارنة هذا التصور بالتأويلات التي ظهرت في التراث الإسلامي، ثم النظر في الكيفية التي تسعى بها القراءات المعاصرة إلى تجديد الفهم الديني المتعلق بالمرأة، بما يحفظ مقاصد الشريعة ويواكب تطورات المجتمعات الحديثة.

مشكلة البحث:

رغم وضوح الخطاب القرآني في إرساء أسس كرامة المرأة ومساواتها في الأصل الإنساني والتكليف الشرعي، إلا أن صورة المرأة كما استقرت في الوعي الجمعي الإسلامي لا تعكس بالضرورة تلك المبادئ القرآنية الخالصة. فقد تعرضت نصوص المرأة في القرآن الكريم إلى تأويلات متباينة عبر العصور، تأثرت إلى حد كبير بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي عاش فيه المفسرون، مما أدى إلى إعادة تشكيل التصور الديني للمرأة بما يتناسب مع السياق التاريخي أكثر من انسجامه مع روح النص القرآني ذاته.

هذا التباين بين التصور الأصلي للنصوص القرآنية وبين القراءات التأويلية التقليدية أثار جدلًا مستمرًا حول مدى صحة هذه التفسيرات، ومدى تأثيرها في صياغة النظرة المجتمعية تجاه المرأة وحقوقها ودورها. وفي ظل التحولات الفكرية والاجتماعية المعاصرة، ظهرت دعوات لإعادة قراءة النصوص القرآنية المرتبطة بالمرأة بعيدًا عن القيود الثقافية القديمة، سعيًا لفهم أعمق وأدق يتماشى مع مقاصد الشريعة من جهة، ومتطلبات الواقع الحديث من جهة أخرى.

ومن هنا تنبع مشكلة البحث، وهي محاولة الإجابة عن السؤال المحوري:

إلى أي مدى يتطابق التصور السائد عن مكانة المرأة في الإسلام مع التصور القرآني الأصلي؟ وكيف أسهمت التأويلات التقليدية في تشكيل هذا التصور، وما الذي تقدمه القراءات المعاصرة من رؤى جديدة قد تسهم في استعادة التوازن بين النص الديني ومتطلبات العصر الحديث؟

تنبثق عن هذا السؤال الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية، منها:

- ما هو التصور القرآني الحقيقي لمكانة المرأة وحقوقها؟
- كيف أثرت العوامل الاجتماعية والثقافية في تأويل النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة؟

أهداف البحث:

1. بيان التصور القرآني الأصيل لمكانة المرأة وحقوقها.
2. تحليل التأويلات التقليدية للآيات المتعلقة بالمرأة، ورصد أثر البيئة الثقافية عليها.
3. استكشاف القراءات المعاصرة للنص القرآني ومقارنتها بالتفاسير التقليدية.
4. المساهمة في تصحيح المفاهيم السائدة حول المرأة في الإسلام.
5. تقديم قراءة متوازنة تجمع بين مقاصد الشريعة ومتغيرات العصر.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الحاجة الملحّة إلى إعادة قراءة النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة قراءة واعية وعميقة، بعيدًا عن التأثيرات الثقافية والاجتماعية التي علقت بها عبر العصور. فهو يهدف إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تشكلت بفعل التأويلات التقليدية، ويسهم في إبراز الصورة الحقيقية لمكانة المرأة كما رسمها القرآن الكريم. كما يواكب البحث متطلبات العصر من خلال الاستفادة من القراءات المعاصرة التي تسعى إلى تجديد الخطاب الديني، مما يجعله إضافة نوعية للنقاش الأكاديمي حول قضايا المرأة وحقوقها في الإسلام، ويعزز الجهود الرامية لتحقيق التوازن بين الأصالة والتحديث في فهم النصوص الشرعية.

مصطلحات البحث:

1. **المرأة في القرآن الكريم**: يقصد بها الصورة التي يقدمها النص القرآني للمرأة من حيث الحقوق والواجبات والمكانة الاجتماعية، كما وردت في الآيات الكريمة دون اجتهادات أو تأويلات لاحقة.
2. **التصور القرآني**: هو الفهم المباشر للنصوص القرآنية بناءً على مقاصدها وأحكامها الأصلية، بعيدًا عن التأثيرات الثقافية والتاريخية التي قد تشوب تفسيرها.
3. **التأويلات التقليدية**: تشير إلى الشروح والتفسيرات التي قدمها علماء التفسير في الفترات السابقة، والتي تأثرت بالسياقات الاجتماعية والثقافية لعصورهم، مما انعكس على فهم قضايا المرأة.
4. **القراءات المعاصرة**: تعني الجهود الحديثة لإعادة تفسير النصوص القرآنية باستخدام مناهج علمية حديثة، تراعي تطور الفكر الإنساني وتغير الظروف الاجتماعية، مع الالتزام بمقاصد الشريعة الإسلامية.
5. **مكانة المرأة**: يقصد بها الوضع الاجتماعي والحقوقي والديني الذي تحتله المرأة في المجتمع، كما تحدده النصوص الشرعية والممارسات العملية.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار هذا الموضوع نظرًا لأهمية قضية المرأة في الفكر الإسلامي، والحاجة الملحة إلى إعادة قراءة النصوص القرآنية بعيدًا عن التأثيرات الثقافية والاجتماعية التي علقت بها عبر العصور. كما أن تعدد الآراء حول مكانة المرأة بين الفهم التقليدي والقراءات المعاصرة يفرض دراسة علمية توازن بين النصوص الشرعية وروح العصر.

ويهدف البحث إلى الإسهام في تصحيح التصورات المغلوطة، وإبراز الصورة الحقيقية للمرأة في القرآن الكريم، مما يواكب النقاشات الفكرية المعاصرة حول حقوق المرأة ودورها في المجتمع.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج المكتبي، من خلال جمع المعلومات وتحليلها بالرجوع إلى المصادر المكتوبة مثل: كتب التفسير، والدراسات الأكاديمية، والبحوث الحديثة التي تناولت موضوع مكانة المرأة في القرآن الكريم.

ويستخدم الباحث المنهج التحليلي لقراءة النصوص القرآنية وتحليلها، مع توظيف المنهج المقارن لمقارنة التصور القرآني بالتأويلات التقليدية والمعاصرة، بهدف الوصول إلى فهم موضوعي ومتوازن.

الدراسات السابقة:

1. **دراسة قام بها د.عبدالله أحمد الزيوت بعنوان 2020 جهود المرأة المعاصرة في تفسير القرآن الكريم**

تتناول هذه الدراسة جهود المرأة المعاصرة في تفسير القرآن الكريم، وذلك بهدف الكشف عن المراحل التاريخية التي مر بها التفسير، وإظهار جهود المرأة في كل منها، والتعريف بالنساء المعاصرات اللواتي كان لهنّ جهدًا في التفسير، وإظهار أبرز معالم منهج المرأة المعاصرة في التفسير، وذلك من خلال أطول تفسير للقرآن كاملاً. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج كان من أبرزها أن مشاركة المرأة للرجل في تفسير القرآن ظهرت منذ أو العهد الإسلامي، وأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها - أول امرأة ساهمت في التفسير، وتبعها في ذلك عدد من النساء عبر العصور، وأن مما تميز به العصر الحاضر مساهمة المرأة في هذا العلم تأليفًا وتصنيفًا، سواء أكان ذلك على مستوى تفسير القرآن كاملا أم على مستوى تفسير بعض سور القرآن الكريم أم على مستوى الموضوع القرآني.

2. **دراسة قامت بها مطيعة بنت هزاع فهد العنزي 2025 حوار النساء في ضوء القرآن الكريم – دراسة تفسيرية موضوعية**

يهدف هذا البحث إلى دراسة حوارات النساء في القرآن الكريم، مع إبراز دورها في مجالات الحياة المختلفة، مثل تعزيز القيم الدينية والاجتماعية، والتأثير في السياسة والاقتصاد، وتقديم المشورة التعليمية والاجتماعية، كما يسلط الضوء على مكانة المرأة وتأثيرها الإيجابي في هذه الحوارات، وقد اعتمدت الباحثة على منهجين هما: المنهج الموضوعي، والمنهج الوصفي التحليلي، وقسمت البحث إلى : مقدمة، وسبعة مباحث وخاتمة، وقد توصل هذا البحث إلى نتائج عديدة، أهمها : أن الحوارات النسائية في القرآن الكريم تؤكد على أهمية دور المرأة في مختلف مجالات الحياة وتوجيه الخطاب القرآني للنساء يعكس قيم العدالة والمساواة في التفاعل المجتمعي، وضرورة إبراز النماذج النسائية الإيجابية في القرآن الكريم في المناهج التعليمية لتعزيز وعي الأجيال الجديدة. وقد أوصيت بالآتي: 1- التشجيع على تمكين النساء في التعبير عن آرائهن في القضايا العامة، سواء كانت اجتماعية أو سياسية، أو اقتصادية مما يعزز دورهن في صناعة القرارات، وهذا يتماشى مع رؤية المملكة 2030 التي تهدف إلى تمكين المرأة، وذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل حكومتنا الرشيدة التي تعمل على دعم دور المرأة في مختلف المجالات 2- دعم الحوار النسائي في السياقات الدينية، بما يسهم في توضيح المفاهيم الدينية وتعزيز الوعي الديني بين النساء.3- تعليم المهارات الحوارية فمن المهم توفير فرص تعليمية لتعزيز مهارات الحوار والتواصل لدى النساء، ما يمكنهن من تحقيق أهدافهن بشكل أكثر فعالية.4- تشجيع تبادل الآراء والثقافات: يجب خلق منصات تسمح بتبادل الخبرات والأفكار بين النساء من مختلف الثقافات والمجتمعات، مما يعزز التفاهم والتعاون.5- تعزيز دور النساء في القضايا الاقتصادية فمن المهم تمكين النساء من المشاركة الفعالة في القضايا الاقتصادية من خلال حوارات عملية تساهم في تحسين.

3. **دراسة قامت بها جميلة تِلوت2021 مقصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران**

إن حصر المقاصد الأسرية في القرآن الكريم أمر عسير في هذه الدراسة، لكن حسبي أني سعيت إلى إعادة ترتيب المقاصد باعتبار الغايات الكبرى التي ينشدها الاجتماع الأسري، وربطها بمقتضيات الإنسان وأحوال العمران، ومراعاة السياق العالمي المعاصر ومآلاته على السياق العربي الإسلامي.

وقد جاء الحديث عن الأسرة في هذا البحث يرنو الارتقاء نحو التعالي الذي يضع الثوابت، ويحدد المقاصد، وينظر للعصر المتغير، وينشد تحقيق هذه المقاصد وتنزيلها في هذا الواقع الزئبقي، إذ إن ما يبقي على

بصيص الإنسانية في العالم السائر نحو الجنون ما هو إلا الأنوار الإلهية والمحمدية التي ترشد السائرين في طريق الله.

فالعقلانية الحديثة لا تشِي دومًا بالإيجابيات، والإشكالات الغربية لسنا بمعزل عنها إن لم نجابهها بروح القرآن وفهم العصر، فلو تأملنا لوجدنا أن حفظ الأسرة مقصد المقاصد؛ إذ يحفظ الإنسان أولا ويحفظ الاجتماع الإنساني ثانيا، لذلك تأتي فلسفة «السيولة» لتفكك الاجتماع وتهدم الإنسان.

وتجدر الإشارة إلى أن «السيولة» كما هي حاصلة في عدد من المجتمعات لم تقع جملة واحدة، وإنما أتت من بعد تنظيرات ثقافية جرّبت في الإنسان نظرياتها القاتلة رغبة في تخفيف ما رأته إصرا وأغلالا، وتكريسا لثقافة المتعة محل الشهوة، «إن العقلانية الحديثة السائلة توصي بالعباءات الخفيفة، وتدين الأغلفة الفولاذية. إذ «يرى العقل الحديث السائل في الالتزامات الدائمة ظلمًا وغما، وفي الارتباط المتين تبعية وتقييدا. فذلك العقل ينكر الحق في الالتزام والارتباط المكاني أو الزماني، فلا حاجة ولا منفعة لهما يمكن للعقلانية الحديثة السائلة الاستهلاكية أن تبررهما. فالالتزام والارتباط يعكران صفو العلاقات البشرية، مثلما يعكران صفو أي فعل من أفعال الاستهلاك الذي يقوم على الإشباع الفوري للرغبة والتقادم الفوري للمادة المستهلكة.

فالحياة السائلة هي حياة استهلاكية وكل شيء فيها قابل للاستهلاك، وهذا ما أدى إلى انقلاب في الموازين وتعيير المصالح بمعيار الاستهلاك والسرعة واللذة، بعيدا عن أية التزامات أخلاقية، وأحسب أن المنظرين لهذا الضرب من الحياة لم يخطر على بالهم الخسارة الإنسانية التي ستؤول إليها بشارتهم، «وبالطبع لا طائل من مقارنة كرب الماضي وغمة الحاضر حتى نعلم أيهما أشد وطأة، فكل كرب يؤذي ويعذب في أوانه وبطريقته».

وأود أن أؤكد في الختام أن واقع الأسرة اليوم يشهد تحديات جديدة، ورهانات لا سابق لنا بها، وهذا ما يستلزم أن نعي اختلاف الأسئلة، وتغير السياقات وتركبها، والجمع بين كل المنظورات التي تعالج الظاهرة، والحرص على تقصيد الأسس القرآنية الكلية وإبصار روح العصر بفهم كلي، إيمانا بدور الدين في تدبير شؤون الاجتماع، خصوصا في هذه المرحلة الانعطافية، وكما يقول مصطفى المرابط: «إن تاريخ هذه الحضارة يعلمنا أن عند كل أزمة انعطافية يتعرض فيها ثابت من الثوابت للخطر إلا وتعمل هذه المنظومة على إيجاد منفذ أو إطار يستوعب ويمتص التحولات الحاصلة، فيضحى بالعارض من أجل إنقاذ الثابت، ويلتف على الخطاب المنطوق، وهو الوعاء الذي تتمظهر فيه تلك التحولات، ليحتمي بخطاب غير منطوق أو مسكوت عنه.

فالعالم يشهد منعطفا تتجلى معالمه على الإنسان والاجتماع، والنظر للأسرة وفق أفق مقاصدي إنساني من شأنه أن يجعلنا نسائل كل المنظورات الفلسفية التي رسخت ثقافة الاستهلاك والاستمتاع منفصلة عن أي اعتبار قيمي وأخلاقي ومقاصدي، وأحسب أن المعالجة المقاصدية القرآنية للأسرة بالنظر للإنسان من جهة وللعمران من جهة أخرى يمكن أن يشكل لبنة في هذا الصرح الحضاري الجديد، والله الهادي سواء السبيل.

المبحث الأول: التصور القرآني لمكانة المرأة

جاء القرآن الكريم بنظرة متميزة لمكانة المرأة، قائمة على الكرامة الإنسانية والتكامل الاجتماعي، دون أن ينظر إليها من زاوية دونية كما كانت تفعل كثير من الحضارات السابقة. فالمرأة، في التصور القرآني، شريك أساسي للرجل في الخلق والعبادة والتكليف، مما أرسى دعائم منظومة قيمية عادلة تحفظ للمرأة مكانتها وحقوقها وتؤهلها للقيام بدور فاعل في الحياة الفردية والجماعية.

أولًا: المساواة في الأصل الإنساني والتكريم الإلهي

قرر القرآن منذ بداياته وحدة الأصل البشري، حيث أكد أن المرأة والرجل خلقا من نفس واحدة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: 1)، وهو تأكيد على أن الإنسانية وحدة لا تعرف التمييز بين الجنسين في أصل الخلق.

الكرامة الإنسانية التي قررها القرآن شملت كلا الجنسين، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70)، دون تفريق بين ذكر أو أنثى. هذا الأساس في الرؤية القرآنية نفى كل أشكال التمييز الفطري، وأقام تصورًا متوازنًا ينظر للمرأة كإنسان كامل الأهلية والقيمة.[1]

ثانيًا: التكليف والمسؤولية الأخلاقية المستقلة

من أبرز ملامح التصور القرآني للمرأة كونها مكلفة ومسؤولة مسؤولية فردية عن أفعالها، تمامًا كالرجل. فالخطاب القرآني في التكاليف الدينية جاء عامًا، موجهًا للرجال والنساء على حد سواء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (الأحزاب: 35).

وهذا يكرس فكرة المسؤولية الفردية أمام الله في الإيمان والعمل، ويضع المرأة على قدم المساواة مع الرجل في نيل الثواب وتحمل العقاب. فالمرأة شريكة في حمل أمانة الاستخلاف، والمشاركة في إقامة القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام.[2]

ثالثًا: الحقوق الاجتماعية والاقتصادية

اعتنى القرآن الكريم بتنظيم حقوق المرأة ضمن إطار يضمن لها الاستقلالية والكرامة، حيث أقر حقها في الميراث بقوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ (النساء: 7)، وضمن لها الذمة المالية المستقلة، حيث قال: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء: 4).

كما منحها حق القبول أو الرفض في الزواج، واعتبر العقد لا يتم إلا برضاها، مما أرسى قاعدة الحرية والاختيار في أهم علاقة اجتماعية.[3] ولم يتوقف الأمر عند الحقوق الأسرية، بل أكد القرآن على مكانة المرأة في المجتمع عامة، معتبرًا أن مشاركتها الاجتماعية جزء من حركة العمران الإنساني، طالما التزمت بضوابط السلوك الأخلاقي.[4]

رابعًا: إبراز النماذج النسائية الإيجابية

جاء القرآن الكريم ليعرض نماذج نسائية بارزة تميزت بالإيمان والحكمة والشجاعة، مثل مريم ابنة عمران التي خصها الله بخطاب تكريمي بالغ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 42)

كما ضرب المثل بامرأة فرعون (آسية)، التي واجهت الاستبداد بالإيمان والثبات، وكذلك ملكة سبأ التي أظهرت ذكاءً سياسيًا وبعد نظر في إدارة شؤون مملكتها.

عرض هذه النماذج يعكس رؤية القرآن للمرأة كفاعل أساسي في مجالات الإيمان والسياسة والاجتماع، ويؤكد أن للمرأة دورًا مؤثرًا في صناعة التاريخ الإنساني.[5]

خامسًا: التكامل بين الرجل والمرأة

أسس القرآن الكريم لفلسفة التكامل بين الجنسين، حيث لكل منهما دوره في الحياة، وقدرته على الإسهام في تحقيق مقاصد الشريعة. فالتمايز الفطري لا يعني التفاضل، وإنما توزيع للأدوار يحقق السكينة والعدل. قال

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1970)، صـ 222.

[2] عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993)، ج1، صـ 55.

[3] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (بيروت: دار الفكر، 1998)، ج5، صـ 88.

[4] يوسف القرضاوي، المرأة في الإسلام، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996)، صـ 42.

[5] محمد سعيد رمضان البوطي، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، (دمشق: دار الفكر، 1996)، صـ 73.

تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: 187)، وهي إشارة إلى العلاقة التكاملية التي تحكم صلة الرجل بالمرأة، قائمة على الستر والدعم المتبادل، لا على التنافس أو السيطرة.

إن هذه الرؤية التكاملية لا تقتصر على الأسرة، بل تمتد إلى بناء المجتمع برمته، حيث يسهم كل من الرجل والمرأة في إنجاح المشروع الحضاري الإسلامي القائم على العدل والمساواة والكرامة الإنسانية.

المبحث الثاني: التأويلات التقليدية لمكانة المرأة

رغم وضوح الخطاب القرآني في تقرير مكانة المرأة وحقوقها، إلا أن التفسير البشري للنصوص قد تأثر بالظروف الاجتماعية والثقافية للعصور التي نشأ فيها. فقد خضعت العديد من النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة لتأويلات اجتهادية، نتج عنها تصورات قد لا تعبر بالضرورة عن روح النص القرآني الأصيلة. وقد انعكس ذلك على فهم دور المرأة في المجتمع، وأسهم في تكوين صور نمطية ما زالت حاضرة في الذهنية العامة حتى اليوم.

أولًا: العوامل المؤثرة في التأويلات التقليدية

تأثرت التأويلات التقليدية بمناخ اجتماعي كان يغلب عليه الطابع الأبوي، حيث سادت ثقافة قوامها تفضيل الرجل على المرأة في مواقع القيادة والتأثير. وقد ظهر هذا التأثر في بعض التفاسير التي عززت فهومًا اجتماعية أكثر منها دينية، مثل تفسير قوامة الرجل على المرأة بأنها تفوق طبيعي مطلق، دون مراعاة سياق النص ومقاصده الحقيقية.[6]

كما أن التفسير الفقهي تأثر بالسياقات السياسية التي عززت أدوارًا محددة للمرأة في المجال الخاص وأقصتها إلى حد كبير عن المجال العام، مما أسهم في ترسيخ التمييز بين الجنسين بصورة تتجاوز ما تقرره النصوص القرآنية.[7]

ثانيًا: مظاهر التأويلات التقليدية في قضايا المرأة

1. تفسير القوامة:

في الآية الكريمة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء: 34)، ذهب العديد من المفسرين القدامى إلى اعتبار القوامة تفويضًا للسلطة المطلقة للرجل على المرأة، دون التمييز بين القوامة بمعنى الرعاية والتكليف، وبينها بمعنى السيطرة. وقد أغفل كثير من هؤلاء المفسرين أن القوامة مشروطة بالعدالة والإنفاق، وليست تفوقًا مطلقًا.[8]

2. شهادة المرأة:

3. جاءت آية الشهادة في قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ (البقرة: 282)، وفسرت تقليديًا على أنها دليل على نقص عقل المرأة، مع أن النص قرن هذا التشريع بسياق المعاملات المالية تحديدًا، ولم يجعله قاعدة عامة في جميع الشهادات. وقد تجاهل هذا التفسير عوامل السياق الاقتصادي والاجتماعي في ذلك الزمن.[9]

4. الحيض والطهارة:

5. في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ (البقرة: 222)، فسرت بعض التفاسير التقليدية الطمث بأنه نقص أو دنس في المرأة، رغم أن القرآن تعامل معه باعتباره أمرًا طبيعيًا له أحكامه الشرعية، دون أن ينتقص من كرامة المرأة أو طهارتها.[10]

---

6. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، ج4، صـ 240.
7. عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، (بيروت: دار القلم، 1990)، ج1، صـ 33.
8. وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (بيروت: دار الفكر، 1998)، ج5، صـ 92.
9. محمد عمارة، تحرير المرأة في وجهة نظر إسلامية، (القاهرة: دار الشروق، 1998)، صـ 77.
10. يوسف القرضاوي، المرأة في الإسلام، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996)، صـ 49.

6. ولاية المرأة:
7. استندت بعض الآراء الفقهية التقليدية إلى أحاديث موضوعة أو ضعيفة لمنع المرأة من تولي المناصب العامة، رغم أن القرآن لم يمنع المرأة من المشاركة السياسية والاجتماعية، بل ذكر لنا في سياق الإيجاب قصة ملكة سبأ التي قادت قومها بحنكة وحكمة.
8.

ثالثًا: أثر التأويلات التقليدية على واقع المرأة

لقد أسهمت هذه التأويلات في تكريس صورة اجتماعية دونية للمرأة، مما حدّ من مشاركتها في الحياة العامة، وأدى إلى تقييد حقوقها في بعض المجتمعات الإسلامية. كما أن هذه الفهوم التقليدية كانت أحد الأسباب التي جعلت قضايا المرأة محل جدل دائم بين دعاة التجديد وأنصار المحافظة.

وبينما حمل الخطاب القرآني نزعة تحريرية واضحة تجاه المرأة، جاءت بعض التأويلات لتنتقص من هذه النزعة، ما أوجد تناقضًا بين النصوص الدينية وروحها التحررية وبين التطبيقات الاجتماعية. وهذا التناقض كان دافعًا رئيسيًا لبروز القراءات المعاصرة التي تسعى إلى إعادة تصحيح المسار، والعودة إلى روح النص القرآني الأصيلة بعيدًا عن تأثيرات العادات والتقاليد.

المبحث الثالث: القراءات المعاصرة لمكانة المرأة في القرآن

شهد الفكر الإسلامي المعاصر محاولات متزايدة لإعادة قراءة النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة، قراءة تهدف إلى تحرير النص من أسر التأويلات التقليدية التي تأثرت بالسياقات الثقافية والاجتماعية، وإبراز الرؤية القرآنية الأصيلة التي قامت على العدل والكرامة والمساواة. وقد جاءت هذه القراءات استجابة للتغيرات الاجتماعية والفكرية التي يعيشها العالم الإسلامي، ومحاولة لاستيعاب تطورات العصر ضمن أطر الشريعة الإسلامية.

أولًا: دوافع القراءات المعاصرة

فرضت عدة عوامل ظهور الحاجة إلى مراجعة الخطاب التقليدي حول المرأة، أبرزها:

- التحولات الاجتماعية :بروز المرأة في ميادين التعليم والعمل والمشاركة العامة، مما دفع إلى ضرورة مراجعة الأطر الفكرية القديمة.
- النقد الداخلي :وعي بعض المفكرين المسلمين بوجود فجوة بين النص القرآني وبين التطبيقات الاجتماعية السائدة، مما استلزم العودة إلى النصوص بروح نقدية بناءة.[11]
- التحديات الفكرية العالمية :تزايد المطالبات بحقوق الإنسان وحقوق المرأة خصوصًا، ما وضع الفكر الإسلامي أمام اختبار دقيق لقدرته على تقديم بدائل مقنعة ومتماسكة[12].

ثانيًا: خصائص القراءات المعاصرة

تتسم القراءات المعاصرة لمكانة المرأة في القرآن بعدة خصائص، أبرزها:

1. العودة إلى النص القرآني مباشرة :الاعتماد على القرآن بوصفه المرجعية الأولى، مع قراءة الآيات في ضوء سياقها النصي والتاريخي، وتجنب إسقاط الفهوم المسبقة.[13]
2. النظر المقاصدي للنصوص :اعتماد مقاصد الشريعة كمنهج في تفسير النصوص المتعلقة بالمرأة، بما يراعي حفظ الكرامة والعدل والمساواة، ويبتعد عن الفهم الحرفي الضيق.

---

[11] عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006)، صـ 182.

[12] الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، (بيروت: دار الطليعة، 1998)، صـ 66.

[13] أمينة ودود، القرآن والمرأة: قراءة نقدية للقرآن الكريم، (بيروت: دار الساقي، 1999)، صـ 27.

3. التحرر من التأثيرات الثقافية :محاولة فصل التفسير الديني عن الأعراف والتقاليد التي التصقت به عبر العصور، لإبراز الفهم الصافي للنصوص.[14]
4. الانفتاح على العلوم الإنسانية :توظيف مناهج تحليلية حديثة مستفادة من العلوم الاجتماعية والإنسانية، مثل علم الاجتماع الديني والدراسات الجندرية، لفهم أعمق لدلالات النصوص.[15]

ثالثًا: نماذج من القراءات المعاصرة

- قراءة أمينة ودود :قدمت قراءة تحليلية للقرآن من منظور نسوي إسلامي، رأت فيها أن كثيرًا من التفسيرات التقليدية أضرت بمكانة المرأة، ودعت إلى قراءة النصوص بروح المساواة والتكامل.
- فاطمة المرنيسي :تناولت دور المرأة في الإسلام من منظور نقدي اجتماعي، محاولة كشف الخلفيات التاريخية التي أثرت على فهم النصوص.
- محمد الطالبي ومحمد أركون :سعيا إلى تفكيك القراءات التقليدية وإعادة تقديم النص القرآني برؤية مقاصدية منفتحة تراعي التغيرات الإنسانية والاجتماعية.

رابعًا: أثر القراءات المعاصرة

كان لهذه القراءات أثر بالغ في إعادة طرح قضايا المرأة الإسلامية في المحافل الفكرية والدينية، وأسهمت في تطوير الخطاب الإسلامي حول المرأة ليصبح أكثر انسجامًا مع المبادئ الكلية للشريعة. كما فتحت المجال أمام اجتهادات فقهية جديدة، وأعادت الاعتبار للمرأة كشريك في بناء المجتمع، بعيدًا عن الأطر النمطية التي حجّمت دورها لعقود[16].

غير أن هذه القراءات لم تخلُ من معارضة، حيث رأى بعض المحافظين أن هذه المحاولات قد تؤدي إلى تمييع الحدود الشرعية، أو أنها تنطلق من مناهج غربية لا تتلاءم مع المرجعية الإسلامية، مما يفرض على أصحاب هذه القراءات الالتزام الدقيق بالضوابط المنهجية في التعامل مع النصوص الشرعية[17].

المبحث الرابع: نحو قراءة مقاصدية لمكانة المرأة في القرآن الكريم

مع تراكم الاجتهادات التفسيرية قديماً وحديثاً، برزت الحاجة إلى تجاوز القراءة الحرفية للنصوص القرآنية نحو فهم مقاصدي أكثر عمقاً، يتناول مقاصد الشريعة الكبرى، ويُعلي من روح العدالة والمساواة التي جاء بها الإسلام. وقد مثّل النظر المقاصدي أداة منهجية مهمة لاستعادة المكانة الحقيقية للمرأة بعيداً عن أطر التفسير التقليدي المتأثر بالثقافة السائدة أو القراءات التجديدية المتهمة بالتفريط.

أولًا: مفهوم القراءة المقاصدية

تعني القراءة المقاصدية فهم النصوص الشرعية من خلال غاياتها الكلية ومقاصدها العليا، وليس الاكتفاء بظاهر الألفاظ أو الجزئيات المنفصلة. وتستند إلى أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد، وحفظ الضروريات الخمس: الدين، النفس، النسل، العقل، والمال.[18]

بالتالي، فإن النصوص المتعلقة بالمرأة لا تُفهم إلا ضمن هذا الإطار الذي يراعي مصلحة المرأة والرجل معًا، ويعزز قيم العدل والكرامة.

---

[14] فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي: النبي والنساء، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2001)، صـ 41.

[15] محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1992)، صـ 92.

[16] الطاهر الحداد، *امرأتنا في الشريعة والمجتمع*، (بيروت: دار الطليعة، 1998)، صـ 68.

[17] فاطمة المرنيسي، *الحريم السياسي: النبي والنساء*، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2001)، صـ 42.

[18] محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1970)، صـ 50.

ثانيًا: مكانة المرأة في ضوء المقاصد الشرعية

عند النظر إلى النصوص القرآنية من منظور مقاصدي، تظهر صورة متكاملة لمكانة المرأة بوصفها شريكة في حمل الأمانة والاستخلاف، وعنصرًا أساسيًا في بناء الأسرة والمجتمع. فالعدالة والمساواة قيمتان أصيلتان في خطاب القرآن، ومقصد الشريعة في الأسرة هو السكينة والمودة، لا السيطرة أو الإقصاء. والنظر إلى الأحكام المنظمة للعلاقات بين الرجل والمرأة يُظهر أنها جاءت لحفظ الحقوق المتبادلة وتحقيق مصلحة الأسرة والمجتمع دون تغليب طرف على آخر.[19]

ثالثًا: معايير القراءة المقاصدية لقضايا المرأة

- مراعاة السياق الزمني والمكاني :فهم سبب نزول الآيات وأثر البيئة الاجتماعية آنذاك، مع اعتبار تغير الزمان والمكان في التطبيق المعاصر.
- استحضار مقاصد الشريعة الكبرى :العدالة، رفع الحرج، تحقيق المصلحة، حفظ الكرامة الإنسانية.
- التحرر من الجمود النصي :تجاوز القراءة الحرفية للنصوص إلى فهم روحي وواقعي يوازن بين الثابت والمتغير.[20]

رابعًا: أثر القراءة المقاصدية في تجديد الخطاب الديني حول المرأة

أسهمت القراءة المقاصدية في:

- إعادة الاعتبار لدور المرأة في المجال العام، كالتعليم والعمل والمشاركة السياسية، ضمن حدود القيم الإسلامية.
- تصحيح الفهوم التقليدية التي حصرت المرأة في أدوار نمطية، وإبراز مشاركتها في كافة مجالات التنمية والعمران.
- تمكين الاجتهاد المعاصر من تقديم حلول شرعية تراعي التغيرات الاجتماعية والاقتصادية دون التفريط في الثوابت.

خامسًا: التحديات التي تواجه القراءة المقاصدية

- مقاومة التيارات التقليدية :التي تخشى التغيير بدعوى المحافظة على الدين.
- سوء الفهم لدى بعض التجديديين :حيث قد يتم تجاوز حدود المقاصد إلى التسيب باسم التطوير.[21]
- الحاجة إلى تأصيل علمي منهجي :لضمان أن تكون القراءة المقاصدية منضبطة بالعلم الشرعي وأصوله.

النتائج:

بعد استعراض التصور القرآني لمكانة المرأة، وتحليل التأويلات التقليدية، ودراسة القراءات المعاصرة، والوقوف على أهمية القراءة المقاصدية، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. أرسى القرآن الكريم مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الأصل الإنساني والتكريم والتكليف، مع مراعاة الفوارق الطبيعية بين الجنسين.
2. اعترف الخطاب القرآني للمرأة بحقوقها الدينية والاجتماعية والاقتصادية كاملة، وجعل لها دورًا محوريًا في بناء الأسرة والمجتمع.

---

[19] يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1994)، صـ 93.

[20] أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992)، صـ 188.

[21] عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006)، صـ 215.

3. كشفت التأويلات التقليدية عن تأثر كبير بالثقافات السائدة في العصور الماضية، مما أدى إلى ظهور تصورات قاصرة عن مكانة المرأة لا تنسجم مع مقاصد النص القرآني.
4. ركزت القراءات المعاصرة على العودة للنص القرآني بروح نقدية ومقاصدية، بهدف استعادة العدالة والكرامة للمرأة المسلمة.
5. أظهرت القراءة المقاصدية للنصوص القرآنية المرتبطة بالمرأة أهمية تجاوز القراءة الحرفية، والانتقال إلى فهم يرتكز على مقاصد الشريعة العليا كالعدل ورفع الحرج وحفظ الكرامة.
6. هناك حاجة ماسة إلى مراجعة التراث التفسيري حول المرأة، وتنقيته مما علق به من تأثيرات ثقافية بعيدة عن روح النص القرآني.
7. القراءات المعاصرة تواجه تحديات داخلية وخارجية، مما يستدعي تحقيق توازن دقيق بين التجديد والانضباط بضوابط المنهج الشرعي.

التوصيات:

بناءً على النتائج السابقة، يوصي البحث بما يلي:

1. ضرورة اعتماد المنهج المقاصدي في تفسير النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة، لتقديم فهم متوازن يراعي النص وروحه.
2. تشجيع الدراسات القرآنية المعاصرة التي تهدف إلى إعادة قراءة النصوص بعيدًا عن التأثيرات الثقافية والاجتماعية التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام.
3. مراجعة كتب التفسير والتراث الفقهي القديم بنظرة نقدية علمية، مع العمل على تطوير اجتهادات معاصرة تراعي المستجدات وتحافظ على ثوابت الدين.
4. تعزيز مكانة المرأة في التعليم والعمل والمشاركة الاجتماعية والسياسية، وفق القيم والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم.
5. نشر الوعي بأهمية القراءة المقاصدية للنصوص الشرعية في المؤسسات التعليمية والدينية، لتكوين رؤية تجديدية منضبطة.
6. التصدي لمحاولات تسييس قضايا المرأة أو تفريغها من مضمونها الشرعي، مع التشديد على الالتزام بالضوابط العلمية في التجديد.
7. دعم البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنية النسائية، بما يسهم في بناء خطاب ديني معاصر يواكب حاجات المجتمع ويحفظ ثوابته.

الخاتمة

لقد كشف هذا البحث عن عمق التصور القرآني لمكانة المرأة، والذي قام على مبادئ الكرامة الإنسانية والمساواة في التكليف والجزاء، بعيدًا عن التمييز القائم على النوع الاجتماعي. كما بيّن البحث كيف تأثرت التأويلات التقليدية بالثقافة السائدة في عصور التفسير، مما أدى إلى إنتاج تصورات مقيدة لدور المرأة لا تعكس حقيقة الخطاب القرآني.

ومن خلال تتبع القراءات المعاصرة، تبيّن أن هناك جهودًا جادة تسعى لاستعادة الرؤية القرآنية الأصلية، وتحرير النص من إسقاطات التاريخ الثقافي والاجتماعي، مع التركيز على مقاصد الشريعة في تحقيق العدل ورفع الحرج وحفظ الكرامة الإنسانية.

وقد خلص البحث إلى أن القراءة المقاصدية تمثل أداة منهجية فعالة لفهم النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة، إذ تجمع بين الثبات النصي والمرونة الاجتهادية، مما يسهم في بناء وعي ديني متجدد، يعزز مكانة المرأة بوصفها شريكة فاعلة في بناء الإنسان والعمران.

إن الحاجة ملحة اليوم إلى تعميق هذا النوع من القراءات التي توازن بين الالتزام بأصول الشريعة ومواكبة التحولات الاجتماعية، بما يضمن تقديم خطاب ديني رشيد يعيد للمرأة المسلمة مكانتها الطبيعية في ضوء نصوص الوحي الخالدة.

المراجع:

1. ابن عاشور، محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. تونس: الدار التونسية للنشر، 1970.
3. أبو شقة، عبد الحليم. *تحرير المرأة في عصر الرسالة*. بيروت: دار القلم، 1990.
4. أركون، محمد. *الفكر الإسلامي: قراءة علمية*. بيروت: مركز الإنماء القومي، 1992.
5. البوطي، محمد سعيد رمضان. *المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني*. دمشق: دار الفكر، 1996.
6. الريسوني، أحمد. *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*. بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992.
7. الزحيلي، وهبة. *الأسرة والمجتمع في الإسلام*. بيروت: دار الفكر، 1986.
8. الزحيلي، وهبة. *التفسير المنير*. بيروت: دار الفكر، 1998.
9. القرضاوي، يوسف. *المرأة في الإسلام*. القاهرة: مكتبة وهبة، 1996.
10. القرضاوي، يوسف. *مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية*. القاهرة: مكتبة وهبة، 1994.
11. المرنيسي، فاطمة. *الحريم السياسي: النبي والنساء*. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2001.
12. النجار، عبد المجيد. *مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة*. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006.
13. ودود، أمينة. *القرآن والمرأة: قراءة نقدية للقرآن الكريم*. بيروت: دار الساقي، 1999.
14. دراز، محمد عبد الله. *الدستور القرآني*. بيروت: دار القلم، 1996.
15. المودودي، أبو الأعلى. *مبادئ الإسلام*. بيروت: دار الفكر، 2001.
16. الحداد، الطاهر. *امرأتنا في الشريعة والمجتمع*. بيروت: دار الطليعة، 1998.

عمارة، محمد. *تحرير المرأة في*